20 أجاثا كريستي

«في الأيام العشرة الأخيرة قبل البدء بالكتابة أحتاج لتركيز مُحكم علي أنْ أظل وحدى .. دون ضيوف ودون هاتف ورسائل .. أستطيع أن أنهى الرواية خلال ثلاثة أشهر ..»

الروائية الإنجليزية ذائعة الصيت والمتربعة علي عرش الرواية البوليسية ذات المستوي الإنساني الرفيع.

والتي قضت فترة طويلة من عُمْرها في الشرق للتنقيب عن الآثار، وخصوصاً في مصر وسوريا والعراق وإيران.

وقد وُصفت بأنَّها : المرأة التى ربحت من جرائم القتل الملايين !!

والحاصلة علي لقب : «سيدة الإمبراطورية البريطانية».

أجاثا كريستي من أشهر الأسماء الأدبية في القرن العشرين، فقد توجت علي عرش الرواية البوليسية ذات المستوي الإنساني الرفيع . ويعرف الجميع أنَّها ألَّفت أكثر من مائة قصة ورواية معظمها بوليسي .. تُرجمت إلي أربعين لغة، ونشرت في مئة دولة، وبلغت مبيعاتها أكثر من 350 مليون نسخة . إلاَّ أن الشيء الذي لا يعرفه الكثيرون هو أنَّها كاتبة مسرحية، ومؤلِّفة للقصص العاطفية، منها علي سبيل المثال قصة : «غائب في الربيع» التي استعملت فيها اسماً مستعاراً هو «ماري ويستماكوت». والأهم من هذا وذاك أنَّها أمضت قسطاً مهماً من حياتها في الشرق وخصوصاً في مصر وسوريا والعراق .

الميلاد والنشأة :

ولدت «أجاثا ماري كلاريسا ميلر» (وهذا اسمها الحقيقي)، والتي اشتهرت فيما بعد بلقب «أجاثا كريستي» Agatha Christie في 15 من سبتمبر 1891م فى نهاية عصر فيكتوريا البريطانية . وكان والدها «فريدريك ميلر» أمريكياً من أهالي مدينة نيويورك . أمَّا والدتها فإنجليزية مولودة في العاصمة البريطانية لندن.

وكان ميلاد «أجاثا كريستي» في «ثوركي» بمقاطعة «ديفونشير» بإنجلترا . وكانت هي آخر العنقود لعددٍ من الإخوة والأخوات.. وقد توفي والدها وهي ما تزال في سن مبكرة، فتولت أمَّها تربيتها، وكانت امرأة ذكية، متفتحة العقل، قوية الشخصية، ذات قدرة هائلة علي خلق الحماسة في نفوس أطفالها، وخصوصاً طفلتها «أجاثا».

لم تتلق الطفلة «أجاثا» تعليمها في مدرسةٍ خلال طفولتها، بل قامت الأم بهذه المهمة. وكانت «أجاثا» تتمتع منذ سن مبكرة بخيالٍ خصب حيث كانت تخلق لنفسها أصدقاء أو رفاقاً خياليين يشاركونها اللَّعب في الغابات وعلى سفوح الجبال، وفطنت الأم لمواهب طفلتها فشجعتها علي هذا النوع من اللَّعب .

وعندما أُصيبت «أجاثا» ذات يوم بنزلة برد شديدة ألزمتها الفراش، وتململت الطفلة بطول أيام مرضها ضيقاً وتبرُّماً، نصحتها أمَّها أن تقضي علي كل هذه المشاعر السلبية بكتابة القصص، وهمت بإحضار العديد من الأوراق والأقلام، فشرعت الطفلة «أجاثاَ» في الكتابة، ومنذ تلك اللحظة أحبت الكتابة، ولم تترك القلم من يدها حتي لحظة وفاتها .

زواج أجاثا من الكولونيل:

وفي عام 1912م خطبها الكولونيل «أرشيبالد كريستي» أحد أبناء الحي الذي تعيش فيه، واستمرت الخطوبة عامين ثم تم الزواج في عام 1914 م - وكان عُمْر «أجاثا» آنذاك 24 سنة - وهو العام نفسه الذي اندلعت فيه الحرب العالم الأولى، فذهب الزوج مع الجيش إلى فرنسا، بينما التحقت «أجاثا» بصيدلية الصليب الأحمر في «ثوركي»

حيث عملت في قسم السموم، وفي هذا القسم تعلَّمت كل شيء عن السموم ممَّا جعلها فيما بعد تقتل معظم الضحايا في قصصها ورواياتها بمختلف أنواع السموم.

وفي عام 1926م تهشم عالم المؤلِّفة، حيث توفيت، أولاً، والدتها، ثم أنهارت أسرتها بعد أن انفصلت عن زوجها الكولونيل «أرشيبالد كريستي» في إبريل 1928م، أى بعد أربع عشرة سنة من الزواج، ذلك لأنَّ زوجها الكولونيل أحب صديقتها فطلب الطلاق!! فهامت «أجاثا» علي وجهها حتي عُثر عليها في أحد الفنادق فاقدة الذاكرة تماماً، تُعاني من اضطراب وتشوش عقلي .

ومع أن الزواج انتهي بالطلاق الحزين إلاَّ أن «أجاثا» آثرت الاحتفاظ - لأسباب فنية وأدبية - بلقبها الأول «أجاثا كريستي» حتي بعد الطلاق والزواج الثاني .

والزواج الثاني من عالم الاثار :

أمَّا زوجها الثاني فكان عَالِم الآثار السير «ماكس مالووان»، ومعه ابتدأت مرحلة جديدة من حياتها في الشرق . وهناك أكثر من نكتة عالمية يتداولها الناس عن هذا الزواج منها أن أحدهم سأل الزوج عن سبب زواجه بهذه المرأة العجوز - كان عُمْرها وقتئذ واحداً وأربعين عاماً - فأجاب الأثري السعيد : لأنَّها مهما كبرت في السن فستبدو دائماً صغيرة بالمقارنة بالقطع الأثرية التي أبحث عنها!!

ولهذه المداعبة صورة أُخرى من المداعبة التي تروي أن «أجاثا» عندما سُئلت: لماذا تزوجتِ من عَالِم آثار ؟، أجابت : لأنني كلَّما كبرت زادت قيمتي عند زوجي !!

رحلة أجاثا إلي مصر :

في شتاء عام 1908م صحبتها والدتها إلي مصر بغرض السياحة، حيث رأت لأول مرَّة النيل الخالد، والآثار الفرعونية المدهشة، كما استمتعت بشمس مصر الساطعة، والسماء الصافية، فعشقت مصر وكتبت بعد ذلك قصصًا كثيرة كانت مصر - بالطبع - مسرح أحداثها، بل إنَّها كتبت أثناء إقامتها في مصر، وتحديداً في فندق «شبرد» القديم قصة أرسلتها إلى إحدى المجلات الأدبية في إنجلترا وفوجئت بعد عودتها بأن القصة

نُشرت في المجلة وتقاضت عنها جنيهاً إسترلينياً، وكانت هذه أول قصة قصيرة تُنشر لها وتقاضت عنها أجراً.

وبمضي الأيام أصبح للقاهرة أثر كبير في نفس «أجاثا» ،. فإثر عودتها مع والديها إلي إنجلترا بوقتٍ قصير، كتبت روايتها الأولي عن أحداث تجري في القاهرة، وأسمتها «ثلج فوق الصحراء» حيث رسمت شخصياتها علي أُناس صادفتهم في غرفة الطعام في الفندق، وبالطبع فإنَّها لم تكن قادرة علي وضع الشخصيات الأَصلية .

الشرق في حياة أجاثا كريستي :

تتفق المراجع علي أن «أجاثا» أَلَّفت أكثر من مئة عمل ضمنها 21 مسرحية نتجت من ارتباطها الشديد والمُحب للشرق، إذ أنجزت بعض أكثر رواياتها شعبية في أثناء اشتراكها بالتنقيب عن الآثار في سوريا والعراق . يقول «روبرت هاملتون» رئيس بعثة التنقيب في «نمرود» العراقية خلال الخمسينيات من القرن المنصرم : «إن أجاثا لم تتذمر من شروط العمل وظروف البيئة السائدة في العراق آنذاك، إذ احتملت أشد أنواع التعب» .

في الخمسينيات من القرن المنصرم، كانت «نمرود» آخر المطاف لرحلةٍ قامت بها «أجاثا» إلي الشرق اعتباراً من عام 1928م برفقة زوجها الثاني، ابتدأت علي بُعد مئات الكيلومترات إلي الجنوب في موقع عاصمة السومريين القديمة التابع لأور UR . وقد قضت مرحلة الثلاثينيات والأربعينيات والخمسينيات من القرن المنصرم في سوريا وتركيا ولبنان والأردن ومصر وإيران . ومعظم هذه البلاد زودتها بـ «مسارح الجريمة» للقصص البوليسية التي أَلَّفتها .

في قصة «جريمة في بلاد ما بين النهرين» يحل «هيركول بوارو» المُحقق السري

الخبير، قضية تتعلَّق بمجموعة انتحارات في مكانٍ للتنقيب عن الآثار في العراق . وفي قصة «جريمة في وادي النيل» يكشف «بوارو» القاتل علي سفينة تقل السيَّاح علي النيل . وفي قصة «موعد مع الموت» يكشف «بوارو» مجرماً ارتكب جريمة في البتراء في الأردن، علما أن هذه الروايات نُشرت في أعوام 1937م، 1938م، 1939م علي الترتيب .

وقد ألَّفت «أجاثا» مجموعة من قصصها القصيرة عن الشرق منها: «باركرباين يتحرَّى» المنشورة في عام 1934م، وفيها يحل مُحقق آخر ألغازاً غامضة في بغداد، وعلي النيل، وفي شيراز في إيران، وفي البتراء بالأردن .

وقد تم تحويل قصة واحدة من قصص الشرق علي الأقل إلي تمثيلية وهي: «جريمة في وادي النيل» عُرضت في نيويورك ولندن عام 1946م، ثم تحويل القصة ذاتها إلي فيلم سينمائي تم تصويره في مصر عام 1978 م، وقام بدور «هيركول بوارو» الممثل الكبير «بيتر أوستينوف» . والطريف أن عرض الفيلم في نيويورك توافق مع افتتاح معرض الملك «توت عنخ آمون» .

التحدي دفع أجاثا كريستي للكتابة :

تذكر «أجاثا كريستي» أن معينها الدائم هو القراءة والكتابة من جديد، فقد قرأت مئات الروايات البوليسية، وعرفت أنَّها أنجح وسيلة لصرف الإنسان عن مشكلاته، ثم عرفت أن للحافز أهمية ثانية، وقد جاءها ذلك الحافز أثناء حوار لها مع شقيقتها الكبرى يوماً عندما قالت الشقيقة: إنَّه من المستحيل أن تقرأ رواية بوليسية دون أن تعرف شخصية القاتل الحقيقي في منتصف الرواية، فردت عليها «أجاثا» بأنَّها تستطيع أن تكتب رواية بوليسية لا يعرف القاتل فيها أحد إلاَّ عندما تشاء هي . ولم تصدقها شقيقتها فملأها هذا بالتحدي .

كان هذا هو الحافز الذي تبحث عنه . وهكذا ولدت رواية «أجاثا» الأولي «لغز جريمة ستايلس»، كتبتها في بطء شديد وهي تضع نصب عينيها ذلك الهدف الذي صار فيما بعد هو السمة الأولى لكل رواياتها وقصصها : إخفاء شخصية القاتل حتى

النهاية . وعندما أوشكت علي نهاية الرواية حصلت علي إجازة من عملها في الصيدلية لمدة أسبوعين، سافرت فيهما «دارتمور» وعاشت بمفردها أسبوعين كاملين أنجزت فيهما الرواية بالشكل الذي عرفه القُرَّاء فيما بعد . وبعد انتهاء الإجازة والرواية، عادت «أجاثا» إلي بيتها، وأرسلت الرواية إلي ناشر، فأعادها إليها مرفوضة، وكذلك فعلت دور نشر كثيرة، غير أن داراً واحدةً، ردت عليها بالقبول بعد أكثر من عام، وكان ذلك في عام 1920م، وهي دار «بودلي هيد» ليبزغ اسم كاتبة تنافس أسماء مؤلِّفي الروايات البوليسية الذين كانوا معروفين في ذلك الوقت مثل : «آرثر كونان دويل»، وكانت الرواية من النجاح بحيث أن مَنْ يقرأها لا يتصوَّر إطلاقاً أنَّها الرواية الأولي لأى كاتب أو كاتبة .

نجاح دائم ومستمر :

ظهرت قصتها أو روايتها الأولى في عام 1920م، قصة «لغز جريمة ستايلس»، وفيها اقترحت اسم «هركول بوارو» رجل المباحث البلجيكي ذي الشخصية المركزية، الذي ظهر ثانية في نحو 25 رواية أخري، وفي عدد أكبر من القصص القصيرة قبل أن يعود «ستايلز» حيث يموت في قصة «الستائر» عام 1975م .

ثم كتبت «أجاثا» بعد ذلك رواية «الغريم الخفي» من وحي ذكرياتها أيام الحرب، ونشرتها عام 1922م، وبعد ذلك توالت رواياتها : «جريمة في ملعب الجولف» عام 1923م، و «بوارو يبحث عن القضايا» عام 1924م، «ذو الرداء البُني» عام 1925م، «سر قلعة تشميني» عام 1926م .

كانت «أجاثا كريستي» تنتج روايتين في العام . في الحمام تأتيها أفضل الأفكار كما يتهيأ لها، تقول : «الطبخ يُثير خيالي، ولا أستطيع وضع التصاميم إلاَّ في الأيام الممطرة، أمَّا إذا أشرقت الشمس فيكون أحب شيء إلي نفسي هو الجلوس في الحديقة.. في الأيام العشرة الأخيرة قبل البدء بالكتابة أحتاج لتركيز مُحكم .. علي أن أظلّ وحدي.. دون ضيوف ودون هاتف ورسائل .. أستطيع أن أُنهي الرواية خلال ثلاثة أشهر»..

عادات وخبرات ملازمة للكتابة عند أجاثا كريستي :

ترى «أجاثا كريستي» أن ثمة عادات ثقافية ملازمة لكاتب الرواية البوليسية، هي رؤية الحياة وملاحظتها المستمرة والدقيقة، لذلك كانت «أجاثا» تُحب الشمس والبحر والزهور والسفر والأطعمة الغريبة والطبخ والسياحة والآثار الفرعونية والقراءة والتطريز والكتابة بالدرجة الأولي .

وكان لـ«أجاثا» هواية واحدة غريبة، هي شراء المنازل وتغيير ديكوراتها والحياة فيها بعض الوقت، ثم التخلُّص منها بعد ذلك ببيعها، وهي هواية تكلفها الكثير، ولكنها تسعدها جدّاً . ويلاحظ نُقَّاد روايات «أجاثا كريستي» أن هذه الهواية تعود إلي طاقة «أجاثا» الهائلة علي استيعاب الحياة، لذلك لا يكفيها لون واحد من المعيشة ولابد أن تُجدِّد حياتها باستمرار، وهو ما تؤكده طبيعة القلق الخصب عند الفنان .

ولمَّا كانت الرواية البوليسية تعتمد علي علم الجريمة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، فإن «أجاثا كريستي» لها خبرة كبيرة في قتل ضحايا رواياتها وقصصها، فالسُّم هو وسيلتها الأولي للقتل، وللسُمِّ أنواع وأشكال وأصناف وأساليب، وهذه الخبرة العجيبة والمدهشة اكتسبتها في الفترة التي كانت تعمل فيها في صيدلية الصليب الأحمر أثناء الحرب العالمية الأولي .

إنَّها لا تحتاج إلي أن تسأل طبيبًا قبل أن تقتل أحداً بالسُّمِّ عن نوع السُّم الذي تختاره أو الظواهر التى تجب أن تبدو علي هذا القتيل بعد أن يجرع السُّم، فهي تعرف كل شيء، ولذلك فهي «تتفنن» في اختراع طرق القتل ، كالقتل بالسُّمِّ عن طريق الدواء، أو القتل عن طريق الموسيقي، أو القتل عن طريق الانتحار، أو القتل المتعمد فيما يُسمّى بالجرائم الأبدية حيث يتحدي المجرم المحققين، ويخفي الأدلة علي جرائمه . هكذا تكتب «أجاثا كريستي» رواياتها وقصصها البوليسية .

إبداع أجاثا كريستي الروائي والقصصي :

تتميَّز «أجاثا كريستي» عن جميع الروائيين البوليسيين بما نصبها ملكة عليهم جميعًا. ولعلّ مقارنة سريعة مع «آرثر كونان دويل» مبتدع شخصية «شرلوك هولمز»، توضح

الفارق والتميُّز . فالملاحظة الأولي هي أن أعمال «أجاثا» روايات كبيرة متكاملة، بينما أعمال «دويل» قصص قصيرة . والثانية هي أن «أجاثا» ترسم صورة واضحة ممتازة للشخصية في كيان حي موجود، بينما توظف الشخصية عند «دويل» لخدمة عقدة العمل. والملاحظة الثالثة هي طبيعة المجرمين، فالمجرمون عند «دويل» محترفون، بينما مجرمو «أجاثا» أشخاص عاديون، ثم حدثت لهم ظروف في الرواية فأزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماقهم . ويلاحظ «صلاح طنطاوي» في كتابه الممتع - وربما الوحيد في اللغة العربية، الذي ألفَّه عن «أجاثا» بعنوان : أجاثا كريستي، رحلة حب .. رحلة رعب، أنَّه يمكن اعتبار «أجاثا» كاتبة عائلية، أى ليس في رواياتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء، فليس في رواياتها - علي تعدُّدها - مشهد جنسي واحد . ليس بين عشرات القتلة الذين كتبت عنهم قاتل أو قاتلة بسبب الجنس، فهي لا تهدف إلي الإثارة الجنسية إطلاقاً . وهي تكتب رواياتها ذات الجرائم الغامضة باعتبارها رياضة ذهنية، فكل رواية هي لغز غريب غامض، وفي كل فصل من فصولها لمحة من حلّ اللغز، و«أجاثا» واثقة أن القارىء لا يدرك أهمية هذه اللمحة، لهذا يستمر الغموض حتي تكشف الكاتبة بنفسها الحلّ الحقيقي للغز، فيستعيد القارىء ما مرّ به من لمحات. وينتابه شعور مزدوج : شعور بالأسف لغفلته، وشعوره بالاستمتاع والراحة لأن كل لمحة من اللمحات التى غابت عنه لها أهميتها ووظيفتها التي أدت إلي حلّ اللغز. وقد يتصوَّر القارئ أنَّه بعد قراءة مجموعة من روايات «أجاثا» قد أصبح قادراً علي حلّ ألغازها في رواياتها أو قصصها الأخري، لكن رواياتها تتحداه لأن كلًا منها عمل مستقل قائم بنفسه رغم أن المنهج واحد في جميع القصص والروايات.

والملاحظة الخامسة، هي أن «أجاثا» تكره الشر لأنَّه شيء سخيف، فالشرير في رواياتها دائمًا، رُغم دهائه، إنسان غبي سخيف لأنَّه لا يفهم الحياة علي حقيقتها، لو كان ذكيا حقاً لاختار الخير بدلاً من الشر، فالخير هو السعادة الكاملة، وأرباح الخير أعظم ألف مرَّة من أرباح الشر، لأنَّ أرباح الخير هي السعادة الروحية وهناءة النفس وراحة البال وهدوء الضمير، وهذه الصفات تتمثَّل بكل وضوح في أبطال روايات «أجاثا كريستي» الثابتين .

أبطال قصص أجاثا كريستي :

الأبطال الثابتون أو المستمرون في قصص وروايات «أجاثا كريستي» ثلاثة، وهم يتمتعون بالوداعة ويتمتعون بطاقة هائلة من حب الإنسان والانتصار للخير علي الشر في كل رواية أو قصة، وهؤلاء الأبطال هم: «هيركيول بوارو»، و«جين ماربل»، و «باركرباين» .

هركيول بوارو : استوحت «أجاثا» شخصيته من بلجيكي لجأ إلي إنجلترا أثناء الحرب العالمية الأولي، كان يتردد علي صيدلية الصليب الأحمر التي كانت تعمل بها أثناء الحرب، وجعلته في رواياتها يعمل في البوليس البلجيكي قبل لجوئه إلي إنجلترا، وفي إنجلترا تمكّن من أن يحل «لغز جريمة قصر ستالين» فعرفه الناس وأصبح شرطياً سريًا خاصاً ظلّ يشتهر حتي أصبح أشهر شرطي سري في القرن العشرين في روايات «أجاثا كريستي» علي وجه التحديد .. وهو عبقري مغرور وعنيد، لكنه خفيف الظل، يُثير الغيظ، لكنه أيضًا يثير الاحترام والحب . عجوز، قصير، وضئيل الجسم، بيضاوي الرأس، ضخم الشارب، حتي أن منظره يثير الضحك كأنَّه مهرج، وهو مجنون بالنظام والنظافة والترتيب، يُخطيء دائمًا في اللغة الإنجليزية وفي استعارة أقوال الأدباء الإنجليز، لكنه لا يُخطيء أبداً في القبض علي القاتل . له مساعد إنجليزي شاب اسمه «كابتن هيستنجر» كان يحلم أن يصبح شرطياً سرياً خاصاً، لكنه عندما قابل «هيركول بوارو» وعرف قدراته الفائقة قنع بأن يكون مساعدًا له فحسب . وهو شاب سليم النية، شديد الحماس، طيب القلب، عديم المواهب، لا نفع منه ولا ضرر، مخلص، يعتمد عليه «بوارو» في معرفة الاتجاه الذي يريد القاتل أن يتجه إليه من خلال تفكيره، لأن تفكير «هيستنجر» تفكير الإنسان العادي وليس تفكير الإنسان المتفوق مثل «بوارو» .

العانس العجوز اللطيفة الوديعة الخجول «جين ماربل» والتي تنتمي إلي العصر الفيكتوري المُحافظ سنًا وأخلاقا، لكنها معاصرة جدّاً من حيث قدرتها الفذة علي كشف الجرائم . إنَّها امرأة ضئيلة الحجم، بيضاء الشعر، مرتجفة الأطراف، لكنها ذات ذكاء خارق يقودها دائماً إلي الحقيقة . طريقتها في كشف الجرائم تختلف عن طريقة «بوارو» . هو يستخدم طريقة النظام والمنهج، يحلل كل دليل يحصل عليه، ويحرص على

أن يجد إجابة معقولة منطقية لكل سؤال يطرحه علي نفسه حتي يصل إلي الحقيقة، هذا لأنَّه رجل مثقف . أمَّا «جين ماربل» فهي ليست مثقفة بل لم تخرج في حياتها من قريتها الصغيرة، لهذا فهي تعتمد علي إدراكها الفطري العميق للطبيعة البشرية . وكأنما «أجاثا» تريد أن تقول إن الطريقتين : المعرفة والفطرة، يؤديان إلي الحقيقة . فـ «جين ماربل» تعرف كل رجل وامرأة وطفل في القرية : تواريخ ميلادهم وزواجهم وأدق تفاصيل حياتهم، وتضع كل هذا في أرشيف عقلها . وعندما تقع جريمة فإنَّها تبحث عن وجه شبه بين أحداث الجريمة التي وقعت وبين واقعة مشابهة حدثت سابقاً - ولابد أن يكون قد حدث شيء مشابه - وبذلك تكشف ما حدث هذه المرَّة بناء علي ما حدث في الماضي وتعرف القاتل . وقد نشرت «أجاثا» مجموعة قصصية من ثلاث عشرة قصة قصيرة بعنوان: «نادي الجريمة» تبدأ المجموعة أثناء تواجد ثلاثة عشر صديقاً بينهم «جين ماربل» في إحدي السهرات .. يتفق الأصدقاء علي أن يحكي كل منهم جريمة عاصرها ويعرف حلَّها، لكنه يترك للحاضرين حلَّها . وهكذا يقص كل منهم جريمة، ولا يعرف الحل في كل مرَّة إلاَ «جين ماربل»، ممَّا يذكرنا - من ناحية الشكل - بمجموعة قصص «الديكاميرون» للكاتب الإيطالي «بوكاتشيو» (1313 - 1375 م) .

الاحتفال بالرواية الخمسين لأجاثا كريستي :

في عام 1950 م من القرن المنصرم احتفلت «أجاثا كريستي»، واحتفل العالم معها بهذه المناسبة، وأرسل لها رئيس وزراء انجلترا في ذلك الوقت قائلاً : أجد نفسي دائماً مسحورًا مبهوراً بروايات «أجاثا كريستي» التي تدل علي ذكاء خارق ومقدرة مذهلة علي الاحتفاظ بسر اللغز حتي نهاية كل رواية، كما أن لها مقدرة عظيمة علي كتابة لغة جميلة سليمة بسيطة واضحة .

وتوَّجها النُّقَّاد في جميع أنحاء العالم ملكة للجريمة، وأصبحت شهرتها بأنَّها: المرأة التي ربحت الملايين من جرائم القتل !!

ولذلك تربعت «أجاثا» علي عرش الرواية البوليسية ذات المستوي الإنساني الرفيع، وقد واصلت الكتابة حتي تجاوز عدد رواياتها المائة، أمَّا أقاصيصها القصيرة فتقدر بالمئات .

روايات أجاثا تتحوَّل إلي أفلام ومسرحيات ومسلسلات :

تحولت معظم روايات «أجاثا» بل وأقاصيصها القصيرة إلي أفلام سينمائية وتمثيليات تلفزيونية وأعمال إذاعية ومسرحية، أشهرها مسرحية «المصيدة» التي عُرضت لأول مرَّة في 25 من نوفمبر 1952 م علي مسرح «إمباسادور» في لندن، ثم انتقلت لتعرض علي مسرح آخر، ظلت معروضة لأكثر من ربع قرن (8862 مرَّة) تغير خلالها الممثلون والمخرجون وأجيال المتفرجين . وبعد شهور من عرض المسرحية جاء رجال السينما وتعاقدوا مع «أجاثا كريستي» علي تحويل المسرحية إلي فيلم سينمائى، وكان من بين الشروط عدم البدء في التصوير قبل انتهاء العرض المسرحي، ووافق رجال السينما علي ذلك الشرط متصورين أن العرض المسرحي لن يستغرق أكثر من عام !!

وهناك مسرحية أُخري شهيرة هي «شاهد الإثبات» عام 1953 م التي تم تحويلها مثل كثير من أعمال «أجاثا» إلي فيلم ناجح عام 1958م .

والأفلام المشهورة الأخري التي تم اقتباسها من أعمال «أجاثا كريستي» تشمل : «جريمة في قطار الشرق السريع» عامي 1934، ، 1974م.

وقد ترجمت «لأجاثا» كثير من رواياتها إلي اللغة العربية منها تمثيليتها الإذاعية «ثلاثة فئران عميان» التي كتبتها تلبية لطلب الملكة «ماري» ملكة بريطانيا الأم في ذلك الوقت، احتفالاً بعيد ميلادها الثمانين، ثم حُوِّلت بعد ذلك إلي مسرحية بعنوان : «المصيدة»، ترجمها : «عمر عبد العزيز أمين» .

كما ترجم «صلاح طنطاوي» أكثر من رواية لأجاثا من بينها : «القتيلة الثالثة»، و «الضحية القاتلة» و «السرّ الرهيب» .

ومن بين ما تُرجم لأجاثا إلي اللغة العربية أيضاً «جرعة الموت» ترجمة : «ممدوح

أبو بكر»، و «نهاية المطاف» ترجمة : «هدي إدريس»، و «مؤامرة نصف الليل» ترجمة : «صادق راشد» .

كذلك عرض «لأجاثا كريستي» في الإذاعة والتلفزيون بمصر أكثر من سهرة منها : «خمسة خناز. صغيرة» كتبها لإذاعة صوت العرب «صلاح طنطاوي» بعنوان «رسالة إلى الماضي»، وقام بتمثيل شخصيات الرواية «صلاح منصور» و «سهير البابلي»، «نادية السبع»، بينما قام الفنان «كمال يس» بدور «بوارو» بطل الرواية .

كذلك قدم «صلاح طنطاوي» للتلفزيون قصة قصيرة من أقاصيص «أجاثا كريستي» أخرجتها «إقبال الشاروني» باسم «الساعة الرهيبة» وقام بتمثيل الأدوار شخصان فقط هما: «عبد الله غيث» و«محسنة توفيق» وذلك بعد تمصير أحداث التمثيلية .

كذلك حوّل «صلاح طنطاوي» رواية «مأساة في قصر إند» إلي تمثيلية سهرة بعنوان: «وجه ملاك» أخرجها للتلفزيون «سالم سالم» وقام بتمثيل أدوارها «سهير البابلي» و «يوسف شعبان» و «نادية عزت» و«مختار أمين» . كما حوّل رواية «الموت يأتي في النهاية» إلي سهرة تلفزيونية بعنوان «شجرة ألماظ» بعد أن نقل زمن الأحداث فيها من مصر الفرعونية إلي صعيد مصر المعاصرة، وأخرجها «سالم سالم» ،. كذلك حوّل رواية «جريمة في وادي النيل» إلي سهرة تلفزيونية أخرجتها «إقبال الشاروني» .

تكريم لائق لأجاثا وزوجها :

في عام 1960 م من القرن المنصرم غادر عَالم الآثار «ماكس مالووان» وزوجته «أجاثا كريستي» مدينة نمرود العراقية للمرَّة الأخيرة، وقفلا عائدين إلي بلدهما .

وفي عام 1968 م حصل «مالووان» علي لقب «فارس» لقاء أعماله، كما حصلت «أجاثا» علي لقب «سيدة الإمبراطورية البريطانية» وذلك في عام 1971 م، وذلك لقاء مجهوداتها في خدمة الإمبراطورية، ومع أن مجري حياتهما كان مختلفاً، إلاَّ أن الزوجين

وجدا أرضية مشتركة في الاستكشاف علي أرض حضرا من أجل إعطائها ما تستحقه من التقويم والمكانة . وكما ذكرت «أجاثا» نفسها وهي تتحدث عن رحلة في الريف السوري عام 1928م : «هذا السلام المطلق الرائع .. موجة عظيمة من السعادة تجتاحني، وأنا الآن أدرك كم أُحب هذا البلد . وكم هذه الحياة كاملة ومرضية» .

وكتبت «أجاثا» عن العرب في كتابها عن «ديار بكر» الكردية عام 1946 م تقول «إنَّهم مبتسمون، بشوشون، كرماء فوق العادة، أمَّا الأفندية في المدن فهم ثقلاء الظل» . وكان الناس في العراق يسمونها «العمة» لحبهم لها .

وقد نجح متحف مدام توسو في لندن في صنع تمثال «لأجاثا كريستي» لوضعه بين تماثيل الخالدين في إحدي قاعاته وذلك أثناء حياتها .

وبعد ربع قرن من وفاتها أقيم لها معرض بالمتحف البريطاني في لندن بعنوان : «أجاثا كريستي والآثار : «لغز بلاد ما بين النهرين» حيث قدَّم لزواره رحلة «أجاثا» إلي الشرق.

وجاء موعد الرحيل:

رحلت «أجاثا كريستي» عن دنيانا في 12 من يناير عام 1976 م في «أسكفورد شاير» عن عُمْر يناهز 85 عاماً، متأثرة بجلطةٍ فاجأتها منذ عام 1973م .

لقد آثرت «أجاثا» العزلة من أجل كتابتها، وعلي الرُغم من ذلك، كانت تقول: «إن حظي سعيد، إنني متزوجة من رجل مهنته تنقيب الآثار . وكلَّما كبرت في العُمْر، زاد اهتمامه بي» .

وربما كان لهذا الإخلاص لقضية الفن والإبداع الروائى البوليسي سبب رواج وشيوع كتاباتها التي فاقت المئة، وظلت طوال حياتها الطويلة تحتفظ بسويتها الفكرية والفنية والعاطفية والإنسانية .

لقد أصبحت «أجاثا كريستي» شخصية عالمية حقاً، ولكنها ظلت تكره الشهرة وحب الظهور، وتفضل أن تحيا مع زوجها بهدوء في بيتها الريفي الأنيق .. هذه هي «أجاثا كريستي» تاريخ بسيط هادئ، لامرأة موهوبة، تحب الحياة والفن ، والناس، تعشق الشرق، وتعطي من نفسها بسخاء لعشاق الفن والأدب .